﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ٥٨﴾ [التّوبة: 58]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ربـطُ ما سَلَفَ مِـــن حـــالِ المنافقينَ بسُوءِ تصرُّفاتِهِم معَ النَّبيِّ الكريمِ

الآيةُ مَعطوفةٌ على ما سبقَها مِنَ الآياتِ في وصفِ حالِ المنافقينَ، وفي بيانِ مَواقفِهِم إزاءَ التَّحدِّياتِ والمؤثِّراتِ المختلفةِ الَّتي يمرُّون بها، ومِن ذلك أنَّ بعضَ هؤلاء المنافقين لا يفتؤونَ يعيبونَ الرَّسولَ ﷺ بالطَّعنِ عليهِ في قسمةِ الصَّدقاتِ والغنائمِ؛ إذ لا همَّ لَهُم إلّا حُطامُ الدُّنيا، فإن أعطيتَهُم ما يَرغبونَ منها رضوا عن عملِكَ، وإنْ لم تُعطِهِم تعجَّلُوا بالسُّخطِ عليكَ.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَلۡمِزُكَ﴾: اللَّمْزُ هوَ العَيْبُ[1]، واللُّمَزَةُ: الكثيرُ اللَّمزِ، واللَّمزُ: الاغتيابُ وتتبُّعُ المعايبِ، والمعنى المحوريُّ: الدَّفعُ في البدنِ بشدَّةٍ وحِدَّةٍ، ومنه قِيلَ: "لَمَزَهُ: عابَهُ ووقَعَ فيهِ" ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ [الهُمزة: 1]. ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التّوبة: 58]؛ أي: مَن يعيبُكَ في قَسْمِ الصَّدقاتِ، وهي نزغةُ مُنافقٍ مُتَعَلِّقُه تحميل الدُّنيا ومحبَّة المالِ[2]، "اللَّمْزُ، كالغمزِ في الوجهِ تَلمِزُهُ بفيكَ بكلامٍ خفيٍّ، وقولُهُ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾؛ أي: يُحَرِّك شفتيهِ بالطَّلبِ، ورجلٌ لُمَزَةٌ: يعيبُكَ في وجهِكَ لا من خلفِكَ، وهو مِنَ اللَّمزِ، ورجلٌ هُمَزَةٌ: يعيبُكَ من خلفِكَ"[3].

2) ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: الصَّادُ والدَّالُ والقافُ أَصلٌ يَدُلُّ على قوَّةٍ في

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لمز).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (لمز).
(3) الخليل، العين: (لمز).

الشَّيءِ قَولًا وغَيرَهُ، مِن ذَلِكَ الصِّدقُ: خِلافُ الكَذِبِ، سُمِّيَ لِقوَّتِهِ في نَفسِهِ، ولأَنَّ الكَذِبَ لا قُوَّةَ لَهُ، هوَ بَاطِلٌ، وأَصلُ هذا مِن قَولِهِم: شَيءٌ صَدقٌ؛ أي: صُلْبٌ. ورُمحٌ صَدْقٌ، والصَّدَاقُ: صَدَاقُ المَرأَةِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقُوَّتِهِ، وأَنَّهُ حَقٌّ يَلْزَمُ، قالَ اللّٰه تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النّساء: 4]، ومِنَ البابِ الصَّدَقَةُ: ما يَتَصَدَّقُ بِهِ المَرءُ عَن نَفسِهِ ومالِهِ[1]، لكنّ الصَّدَقَةُ في الأصلِ، تُقالُ لِلمُتَطَوِّعِ بِهِ، والزَّكاةُ لِلواجِبِ، وقد يُسمَّى الواجبُ صَدَقةً إذا تَحَرَّى صاحِبُها الصِّدقَ في فِعلِهِ[2].

3) ﴿يَسْخَطُونَ﴾: السُّخطُ: ضدُّ الرِّضا، سخِطَ الشَّيءَ: كَرِهَهُ، تسخَّطَ عطاءَه: استقلَّهُ، كلَّما عملتُ له عملًا؛ تسخَّطَهُ؛ أي: لم يرضَهُ، والمعنى المحوريُّ: الغضبُ (الشَّديد) استنقاصًا لِما يُقَدَّمُ من عملٍ أو عطاءٍ، والسُّخطُ: الكراهةُ المُفرطةُ[3]، فالسُّخْطُ اصطلاحًا: الغضبُ الشَّديدُ المُقتَضي لِلعقوبةِ[4]، وسَخِطَ؛ أي: غَضِبَ، وبابُهُ طَرِبَ؛ فهو سَاخِطٌ، وأسخَطَهُ: أغضَبَهُ، وتَسَخَّطَ عَطاءَهُ: استَقَلَّهُ[5]، وفي حديث هرقل: «**وسَأَلْتُكَ أَيَرتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدينِهِ بَعدَ أَنْ يَدخُلَ فيهِ؟**»[6]، السَّخَطُ والسُّخْطُ: الكراهيةُ لِلشَّيءِ وعدمُ الرِّضا بِهِ، ومنه الحديثُ: «**إنَّ اللهَ يَسخَطُ لَكُم كَذا**»[7]؛ أي: يَكرَهُهُ لَكُم، ويمنعُكُم منهُ، ويُعاقِبُكُم عليهِ، أو يَرجِعُ إلى إرادةِ العُقوبَةِ عليهِ[8].

## ❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

خاطبَ السِّياقُ نبيَّ الرَّحمة، فقالَ لهُ: يا محمَّدُ، مَن يُعيبُكَ، ويَطعنُ عليكَ في قِسمةِ الصَّدقاتِ والغنائم، ويَزعمُ أنَّك لَستَ عَادِلًا في قسمتِكَ، إنَّما هُمُ المنافقونَ، الَّذين إذا أعطيتَهُم مِن تلكَ الصَّدقاتِ رضوا عنكَ، وإنْ لَم تُعطِهم منها سَخِطُوا عليكَ، واتَّهمُوكَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صدق).
(2) الرّاغب، المفردات: (صدق).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سخط).
(4) الرّاغب، المفردات: (سخط).
(5) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (سخط).
(6) هذا الحديث الطّويل ذكرَهُ البخاريّ، عن عبدالله بن عبّاس، سألَ فيه أبا سفيان بن حربٍ عن حوارِهِ مع هرقل عظيمِ الرّومِ: (باب الإيمان)، الحديث رقم: (58)، وابن الأثير، النّهاية: (سخط).
(7) هذا الحديث ذكرَه مُسلم في الصّحيح، عن أبي هريرة، كتاب الأقضيةِ، باب النّهي عن كثرةِ المسائلِ مِن غير حاجةٍ، والنّهي عن منع وهات، وهو الامتناعُ من أداءِ حقٍّ لزمَهُ أو طلبِ ما لا يستحقُّه. الحديث رقم: (4481).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (سخط).

زورًا وبُهتانًا، "وهُم لا يَفعلونَ ذلك سخطًا لِلدِّين، ولا غَيرةً على مَصلحةِ المُسلمينَ، وإنَّما يَفعلونَهُ سعيًا وراءَ مَنافعِهِم الخاصَّةِ، ومزاياهُمُ الذَّاتيَّةِ، واللَّهُ يَعلمُ خباياهم، ويُطلعُكَ عليها"[1].

التَّنديدُ بالطَّاعنينَ في توزيعِ رسولِ اللهِ ﷺ لِلصَّدقاتِ لِأطماعِهِم فيها

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

### بلاغةُ العطفِ بحرفِ (الواو)، وأثرُها في المعنى:

الواو في قولِهِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ عاطفةٌ، وهي مِن عطفِ القصَّةِ على القصَّةِ؛ لأنَّ الآياتِ لا زالَت تتحدَّثُ عنِ المُنافقينَ وصفاتِهم، والمقصودُ مِن هذا شرحُ نوعٍ آخرَ مِن قبائحِهم وفضائحِهم، وهو طعنُهُم في الرَّسولِ ﷺ بسببِ أخذِ الصَّدقاتِ مِنَ الأغنياءِ، ويَقولونَ: إنَّهُ يُؤثِرُ بها مَن يَشاءُ مِن أقاربِهِ وأهلِ مَوَدَّتِهِ، ويَنسُبُونَهُ إلى أنَّهُ لا يُراعِي العَدلَ[2].

بيانُ اللَّمزِ المشينِ بالطَّعنِ في أمانةِ النَّبيِّ الأمينِ

### معنى (مِن) في قولِهِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾:

(مِن) هنا: تبعيضيَّةٌ على معنى: أنَّ بعضَهم مَن يفعلُ هذا، وبعضهم يفعلُ غيرَهُ، وهذا الَّذي لمزَ النَّبيَّ ﷺ، وَرَدَ عن أبي سعيد الخدريِّ، قال: بينا النَّبيُّ ﷺ يَقسِمُ، جاءَ عبدُ اللَّه بن ذي الخُويصرة التَّميميُّ، فقال: اعدلْ يا رسولَ اللَّه، فقالَ: «ويحَكَ، ومَن يعدلُ؛ إذا لم أعدلْ»، قال عمر بن الخطاب: ائذنْ لي، فأضربَ عُنُقَهُ، قالَ: «دَعْهُ، فإنَّ لهُ أصحابًا يَحقِرُ أحدُكُم صلاتَهُ مع صلاتِهِ، وصيامَهُ مع صيامِهِ، يَمرُقونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمرُقُ السَّهمُ مِنَ الرَّمية»[3].

مَن تجرَّأ على رسولِ اللهِ ﷺ باللَّمزِ خَسِرَ الدُّنيا والآخرةَ

### معنى الموصولِ ﴿مَّن﴾ وصلتِهِ في قولِهِ: ﴿مَّن يَلْمِزُكَ﴾:

﴿مَّن﴾ هنا اسمُ موصولٍ بمعنى: (الَّذي)، والاسمُ الموصولُ مُبهَمٌ

ذمُّ المنافقينَ، والنَّعيُ عليهم؛ لِما بَدَرَ منهُم مِن لَمزٍ أثيمٍ

(1) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 1294.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/755.
(3) الحديثُ مَرويٌّ عن أبي سعيد الخدريّ، أخرجه البخاريّ، الحديث رقم: (3610)، ومُسلم، الحديث رقم: (1064)، ورُوِيَ أيضًا عن جابر بن عبد الله، أخرجه: ابن ماجة، سننه، الحديث رقم: (142)، ويُنظر في أسبابِ نزولِ الآيةِ: المزينيّ، المحرّر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التّسعة: 1/589.

مُفتقِرٌ إلى جملةِ صلةِ الموصولِ الَّتي تُزيلُ إبهامَهُ، كما أنَّهُ مُفتقِرٌ إلى عائدٍ ظاهرٍ أو مُقدَّرٍ يعودُ عليهِ، وأفادَ الاسمُ الموصولُ هنا معنى الذَّمِّ والتَّحقيرِ لهذا الصِّنفِ مِنَ المنافقينَ، والجملةُ هنا صلةُ الموصولِ لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ، والعائدُ فيها ضميرٌ مُقدَّرٌ يعودُ على هذا الصِّنفِ اللَّامزِ.

**فائدةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿مَّن يَلۡمِزُكَ﴾:**

قولُهُ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، واللَّمزُ يشمَلُ العيبَ باللَّفظِ الصَّريحِ، ويشمَلُ العيبَ بالتَّعريضِ والتَّلميحِ، ويشمَلُ كذلك الوخزَ في الكلامِ.. وقالوا: إنَّ اللُّمَزَةَ مَن يعيبُ في وجهِ مَن يعيبُهُ، ولو بلَحْنِ القولِ، وقد استعملَ السِّياقُ الفعلَ المضارعَ لِلدَّلالةِ على بشاعةِ التَّطاولِ على مَقامِ النُّبوَّةِ السَّاميِّ، ودلَّ التَّعبيرُ بالمضارعِ، هنا على استحضارِ صورتِهم القبيحةِ، وهُم يَلمزونَ الرَّسولَ والمؤمنينَ، فضلًا عن دلالتِها على تجدُّدِ هذا اللَّمزِ فيهم، واستمراريَّتِهِ عندَهُم.

استبشاعُ لمزِ النَّبيِّ الأمينِ، مُتجدِّدٌ في كلِّ عصرٍ وحينٍ

**بلاغةُ الحذفِ في: ﴿يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾:**

أُدخِلَت ﴿فِي﴾ على الصَّدقاتِ، وإنَّما اللَّمزُ في توزيعِها لا في ذواتِها؛ لأنَّ الاستعمالَ يدُلُّ على المرادِ، فهذا شائعٌ مِن إسنادِ الحُكمِ إلى الأعيانِ، والمُرادُ أحوالُها[1]، وعلى هذا فيكونُ تقديرُ الجملةِ: ومنهُم مَن يلمزُكَ في شأنِ الصَّدقاتِ، أو في قسمتِها، ولكنَّ إسنادَ الحرفِ (في) إلى الصَّدقاتِ أفادَ عمومَ لَمزِهِم في كافَّةِ شؤونِها.

دلَّ السِّياقُ على عمومِ طعنِهِم في شأنِ الصَّدقاتِ على إطلاقِها

**معنى (ال) في: ﴿فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾:**

يحتملُ أن تكونَ (الـ) هنا عهديَّةً، والمرادُ بها الصَّدقاتُ المعروفةُ الَّتي وزَّعها النَّبيُّ ﷺ على بعضِهِم، في مُناسبةٍ مُحدَّدةٍ، تبعًا لِمَا جاءَ في مُناسباتِ نزولِ هذه الآيةِ، والأَولَى حمْلُها على الجنسِ لِيُرادَ منها

العِبرَةُ بعمومِ لفظِ الصَّدقاتِ لا بخصوصِ سببِ النُّزولِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/232.

كافَّة الصَّدقاتِ الَّتي يتصرَّفُ فيها النَّبيُّ ﷺ، والَّذي يُؤكِّدُ هذا الرَّأي مجيئُها على هيئةِ الجمعِ دونَ الإفرادِ.

**معنى الفاءِ في: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ﴾:**

جوهرُ الإيمانِ الرِّضا بأحكامِ اللهِ في العطاءِ والمَنعِ

الفاءُ عاطفةٌ أفادَتِ التَّفريعَ والتَّعقيبَ، و"(الفاء) تدُلُّ على أنَّ ما بعدَها بيانٌ أو إشارةٌ إلى نوعِ عينِهم، وهو بيانٌ لنفوسِهم، إنْ أُعطوا مِنَ المالِ بحقٍّ؛ رضوا واطمأنُّوا، وقالُوا: إنَّها قِسمةٌ عادلةٌ، واستقامُوا على الطَّريقة، وإنْ لم يُعطوا لِعدمِ استحقاقِهم سَخِطوا، فهُم طامعونَ في أن يأخذوا بغيرِ حقٍّ"[1].

**دلالةُ (إنْ) الشَّرطيَّة:**

أسوأُ الرِّضا ما كانَ مَشروطًا بالعطاءِ، وجودًا وعدمًا

أفادَ استعمالُ (إنْ) في قوله: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ﴾ معنى الشَّرطِ، ويُؤتَى بها لإبرازِ فعلِ الشَّرطِ، على أنَّه في حكمِ نادرِ الوقوعِ، أو ما هو في حكمِه، كما هو مُقرَّرٌ في علمِ المعاني، فدلَّ استعمالُها هنا على أنَّ إعطاءَهُم ينبغي أن يكونَ لهُ حكمُ النَّادرِ.

**فائدةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الشَّرطيَّةِ في: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا﴾:**

ربطُ صفاتِ المنافقينَ ومواقفِهم بالاشتراطِ تماشيًا مع نفسيَّاتِهم

أفادَ استعمالُ الجملةِ الشَّرطيَّةِ هنا الدَّلالةَ على ربطِ مواقفِهم وردودِ أفعالِهم، بأسبابٍ مُحدَّدةٍ، ومُقدِّماتٍ مُقرَّرةٍ، فهذا الأسلوبُ يُصوِّرُ نفسيَّاتِهم الَّتي تربطُ الأسبابَ بالنَّتائجِ، فقد ربطَت الآيةُ هنا رضاهم بإعطائِهم الصَّدقاتِ، ويكثرُ استعمالُ أسلوبِ الشَّرطِ في سياقِ الحديثِ عنِ المنافقينَ، ولاسيَّما في هذه السُّورةِ، كما في قولِه: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التَّوبة: 42]، وقولِه: ﴿*وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التَّوبة: 46]، وقولِه: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/3339.

[التَّوبة: 47]، وقولِه: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ [التَّوبة: 50].

### نكتةُ بناءِ صيغةِ الفعلِ لِمَا لم يُسمَّ فاعلُهُ في ﴿أُعْطُواْ﴾:

المنافقونَ أشدُّ حرصًا على المَكاسِبِ مِنَ الانشغالِ بمَن يُقدِّمُها

دلَّ بناءُ الفعلِ لغيرِ فاعلٍ مُعيَّنٍ على أنَّهم يَطلبونَ حصولَ هذا الفعلِ لهم دونَ النَّظرِ إلى فاعلِه، فالمهمُّ في الأمرِ أن يتحقَّقَ إعطاؤُهُم دونَ الاهتمامِ بنوعِ المُعطِي، وهذا يكشفُ نفسيَّتَهُم في طلبِ المَنافعِ والسَّعي لها.

### دلالةُ عودِ الضَّمائرِ في الجملةِ الشَّرطيَّةِ:

تنوُّعُ مآلاتِ الضَّمائرِ، يُكسبُها معانيَ كثيرةً

الظَّاهرُ أن تعودَ الضَّمائرُ في ﴿أُعْطُواْ﴾و﴿رَضُواْ﴾ إلى اللَّامزين أنفسِهم؛ أي: إنْ أُعطي اللَّامزُونَ رضوا، ويحتملُ أن تعودَ إلى الضَّميرِ في قولِه: ﴿وَمِنْهُم﴾؛ أي: إلى مجموعِ المنافقين، فيصير المعنى: إنْ أُعطِيَ المُنافقونَ رَضِيَ اللَّامزُونَ، وإنْ أُعطِيَ غيرُهم سَخِطُوا؛ فالمعنى: أنَّهُم لا يُريدونَ الصَّدقاتِ إلَّا إلى فقرائِهم[1].

### معنى (من) في: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ﴾:

هوى النَّفسِ الغلَّابُ يقودُ العبادَ إلى ما يُعابُ

(مِنْ) هنا يمكنُ أن تكونَ تبعيضيَّةً على معنى: إنْ أُعطوا بعضَ الصَّدقاتِ، وهو الظَّاهرُ، ويمكنُ أن تكونَ بيانيَّةً تبيِّنُ ما يُرضيهم[2]، "إذًا: فموازينُهم مُختلَّةٌ، وليسَت موازينَ حقٍّ ثابتٍ، بل هي موازينُ هوى النَّفسِ، لكنَّ موازينَ الحقِّ لا تَتبَعُ، ولا تَتوقَّفُ على هوى النَّفسِ، بل هي موازينُ ثابتةٌ، يعدلُ فيها الإنسانُ حتَّى مع ألدِّ أعدائِه"[3].

### سرُّ استعمالِ صيغةِ الماضي ﴿رَضُواْ﴾:

الإسلامُ رضًا وإقناعٌ، وليس مُقايضةً للانتفاعِ

للدَّلالةِ على أنَّ الرِّضا وإظهارَ الإسلامِ، كان يكون لأجلِ العطاءِ في وقتِه، وينقضي، فلا يعدُّونهُ نعمةً يتمنَّونَ دوامَ الإسلامِ لِدوامِها[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/232.
(2) صافي، الجدول: 5/366.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/232.
(4) محمد رضا، تفسير المنار: 10/421.

و"هؤلاء النَّاسُ تختلفُ انفعالاتُهُم باختلافِ مَصلحتِهِم، إذا أَخَذوا رضوا، وإذا مُنِعوا سخِطوا؛ لأنَّ ميزانَهُم هو المصلحةُ الخاصَّةُ البعيدةُ عن كلِّ عَدلٍ"[1].

**سرُّ الحذفِ في التَّركيبِ، وعلاقتُهُ بالإيجازِ والتَّعميمِ:**

التَّقديرُ تنويعٌ للتَّعبيرِ، وتحريكٌ لسوانحِ التَّفكيرِ

لم يقلِ القرآنُ: رضوا عنك، أو رضوا عنِ المؤمنين؛ لأنَّه مفهومٌ مِنَ السِّياقِ، فالحذفُ للإيجازِ، ويمكن أن يكون الحذفُ؛ لأنَّهم في حقيقةِ الأمرِ مهما أُعطُوا فلن يرضَوا عنِ النَّبيِّ ولا عنِ المؤمنينَ، فعبَّرَ القرآنُ الكريمُ عن ذلكَ بحصولِ حالةِ الرِّضا عندَهُم بسببِ الإعطاءِ لا بسببِ المُعطِي، أو أنَّ الفعلَ أُجرِيَ مَجرَى اللَّازمِ؛ أي: صارَت لهم حالةٌ مِنَ الرِّضا.

**بلاغةُ العطفِ في: ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ﴾:**

مَلمَحُ الإطنابِ والاحتراسِ في السِّياقِ

جاءتِ الجملةُ الشَّرطيَّةُ الثَّانيةُ في قوله: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ﴾ معطوفةً على الأولى بحرفِ الواو؛ لمزيدِ البيانِ في وصفِ حالِهم في حبِّ الأخذِ دونَ العطاءِ؛ ليبيِّنَ موقفَهُم السَّاخطَ في حالِ عدمِ إعطائِهم؛ لأنَّه قد يظنُّ ظانٌّ أنَّهُ إذا أُعطوا رَضوا، وإذا لم يُعطَوا قد لا يَرضون، ولا يَسخطون، فبيَّنَ حصولَ السُّخطِ منهم، فالعطفُ للإطنابِ والاحتراسِ.

**بلاغةُ إعادةِ التَّعبيرِ بالشَّرطيَّةِ ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا﴾ ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ﴾:**

تتغايرُ ردودُ الأفعالِ بتغايرِ الأحوالِ

عَبَّرَ عن حالِهم في حالِ عدمِ إعطائِهم مِنَ الصَّدقاتِ، بما عَبَّرَ فيهِ عن حالِهم حالَ إعطائِهم، بنفسِ النَّظمِ وأسلوبِ الشَّرطِ؛ للدَّلالةِ على تغايُرِ ردودِ أفعالِهم بناءً على تغايرِ أحوالِهم.

**بديعُ المقابلةِ:**

إظهارُ التَّقلُّبِ في أحوالِ المنافقينَ حسبَ الهوى والمَنفعةِ

قولُهُ: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾، هناك مقابلةٌ بين الإعطاءِ في قولِهِ: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا﴾، والمنعِ في

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 9/5217.

قولِهِ: ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ﴾، وبينَ الرِّضا في قولِهِ: ﴿رَضُواْ﴾، والسُّخطِ في قولِهِ: ﴿يَسْخَطُونَ﴾ على التَّرتيبِ؛ لِلدَّلالةِ على شدَّةِ سيطرةِ المالِ على قلوبِهِم؛ وتلوُّنِهِم حسبَ الهوى.

### معنى ﴿إِذَا﴾ الفجائيَّةِ في: ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾:

سُخطُ المنافقينَ لا مَنطقَ لهُ، فلا غرابةَ في غرابتِهِ

﴿إِذَا﴾ هنا فجائيَّةٌ، وتدلُّ على أنَّ سَخَطَهُم هنا أمرٌ يُفاجِئُ العاقلَ حِينَ يَشهَدُهُ؛ لأنَّه يكونُ في غَيرِ مَظِنَّةِ سَخَطٍ، وشَأنُ الأمورِ المُفاجِئَةِ أن تكونَ غَرِيبةً في بابِها[1]، "و (إذا) - تدلُّ على أنَّ سخطَهُم أمرٌ لا يرتبطُ بمنطقِ الأمورِ، فهُم فاجَؤوا أهلَ الحقِّ به، والدَّليلُ على المفاجأةِ (إذا)؛ فهي تدلُّ على المفاجأةِ. والمفاجأةُ تدلُّ على أنَّهُ غيرُ مَنطقيٍّ؛ لأنَّ مَن يَرضَى بالحقِّ عندَ العطاءِ، لا يصحُّ أن يغضبَ إنْ مُنِعَ بحقٍّ"[2].

### موقعُ جملةِ ﴿هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ في سياقِ الآيةِ الكريمةِ:

للضَّمائرِ دورٌ أساسيٌّ في ربطِ اللَّاحقِ مِنَ الجُملِ بالسَّابقِ

دلَّ التَّعبيرُ بالجملةِ الاسميَّةِ ﴿هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ على استقرارِ هذا الوصفِ فيهم، حتَّى باتَ اسمًا لهم؛ فالجملةُ الاسميَّةُ تدلُّ على الثَّباتِ، وتفيدُ التَّوكيدَ أيضًا؛ لِتكرُّرِ ذكرِ المُسندِ إليه فيها مرَّةً بكونِهِ المبتدأ ﴿هُمْ﴾، ومرَّةً بكونِهِ فاعلَ الفعلِ ﴿يَسْخَطُونَ﴾.

### نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَسْخَطُونَ﴾:

التَّعبيرُ بالمضارعِ لاستحضارِ الصُّورةِ، وتجدُّدِ الفعلِ واستمراريَّتِهِ

دلَّ الفعلُ المضارعُ هنا على استحضارِ حالةِ السُّخطِ عندَهُم، فضلًا عن دلالتِها على تجدُّدِ فعلِ السُّخطِ فيهم عندَ كُلِّ مَنعٍ، فعَبَّرَ عَن سُخطِهِم بـ(إذا) الفُجائيَّةِ، وبِفعلِ المُضارِعِ؛ للدَّلالَةِ على سُرعَتِهِ واستمرارِهِ، وهَذا دَأبُ المُنافقينَ وخُلُقُهُم في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ، كَما نَراهُ بالعيانِ، حتَّى مِنْ مُدَّعي كَمالِ الإيمانِ والعِلمِ والعِرفانِ[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/232.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/3340.
(3) محمد رضا، تفسير المنار: 10/421.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### الهَمْزُ واللَّمزُ:

عبَّر القرآنُ عن اللَّمزِ بالطَّعنِ جهارًا في شأنِ تقسيمِ النَّبيِّ لِلصَّدقاتِ

فرَّق القرآنُ بينَ الهمزِ واللَّمزِ، لمّا جَمَعَ بينَهُما في قولِهِ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهُمزة: 1]، ورأى أبو هلالٍ العسكريُّ أنَّ الهمزَ هوَ أن يهمزَ الإنسانُ بقولٍ قَبيحٍ من حَيثُ لا يسمعُ، أو يحثّهُ، ويوسِّده على أمرٍ قَبيحٍ؛ أي: يغريه بِهِ، واللَّمزُ أجهَرُ مِنَ الهَمزِ، وفي القُرآن ﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧﴾ [المؤمنون: 97]، ولم يقُلْ: لمزاتٌ؛ لأنَّ مكايدةَ الشَّيطان خفيَةٌ[1]. فاللَّمزُ: العيبُ والطَّعنُ في الوجهِ، والهمزُ: الطَّعنُ في الغَيبةِ، وأصلُهُ الإشارةُ بالعينِ ونحوها، فهو أخصُّ مِنَ الغمزِ؛ إذ هوَ الإشارةُ بالعينِ ونحوها، سواءٌ كان على وجهِ الاستنقاصِ أم لا، وأمَّا اللَّمزُ فهو خاصٌّ بكونِهِ على وجهِ العيبِ[2].

### السُّخط والغضب:

السُّخط غضبٌ لاحتقارِ أمرٍ ما، فناسبَ الغضبَ على الصَّدقاتِ هنا

فرَّق بينهما أبو هلال؛ بأنَّ الغَضَبَ يكونُ مِنَ الصَّغيرِ على الكَبيرِ، ومِنَ الكَبيرِ على الصَّغيرِ، والسُّخطُ لا يكونُ إلَّا مِنَ الكَبيرِ على الصَّغيرِ، يُقالُ: سَخِطَ الأَميرُ على الحاجِبِ، ولا يُقالُ: سَخِطَ الحاجِبُ على الأَمير، ويُستَعملُ الغَضَبُ فيهما، والسُّخطُ إذا عدَّيتَهُ بِنَفسِهِ؛ فَهوَ خلافُ الرِّضا، يُقالُ: رضيه، وسَخِطه، وإذا عدَّيتَهُ فَهو بِمَعنى الغَضَب، تَقول: سخِطَ اللّه إذا أَرادَ عِقابَهُ[3]، والَّذي يظهرُ أنَّ السُّخطَ مِن أشدِّ أنواعِ الغضبِ، وهو ناشئٌ عن استقلالِ ما يُقدَّمُ لصاحبِهِ واستحقاره، فبينَ اللَّفظَتَينِ عمومٌ وخصوصٌ.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 53 - 54.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 11/314.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 114.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 17 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-14-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 17 : المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-14-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»